قراءة في الأنساق الثقافية لنص "نسيان com" لأحلام مستغانمي

أ. نوال قرين
المركز الجامعي – تيبازة– الجزائر

تاريخ الإرسال:06-01-2018 تاريخ القبول:05-06-2018 تاريخ النشر:01-02-2019

مدخل: إن ظهور أدب ما بعد الاستعمار مرتبط بعجز "النظرية الأدبية الأوروبية عن التعامل بشكل مناسب مع تعقيدات الكتابة ما بعد الاستعمارية، وأقاليمها المتباينة ثقافيا..." [1]، وهو ذلك الأدب الذي كتبته الشعوب التي خضعت للاستعمار وفي العصر الحديث، سواء أكان ذلك الأدب الذي انسجم مع التأثير الاستعماري وثقافة المستعمر، وصار هجينا، أم الأدب الذي رفض ثقافة المستعمر وحاربها، وهذا يجعل الأدب العربي الحديث(*) منذ بداية الاحتلال الأوروبي حتى يومنا هذا ينتمي إلى مرحلة/أدب ما بعد الاستعمار.

ويعد ستيفن سليمون هذا النمط من الأدب شكلا من أشكال النقد الثقافي والتحليل النقدي الثقافي، كما أنه منهج لتحرير مجتمعات بأسرها من شفرات الهيمنة التي ترتدي أقنعة الهيكلة الثقافية[2]

ومن هذه النصوص العربية نجد نص "نسيان COM" للكاتبة الجزائرية أحلام مستغانمي، الذي يعد نمطا مميزا من الكتابة ولجته الكاتبة بعد تجربتها الروائية المميزة من خلال ثلاثيتها الشهيرة (ذاكرة الجسد، فوضى الحواس، عابر سرير)، فهو نص ينتمي زمنيا للأدب الاستعماري أو الكتابة مابعد الاستعمارية، أما جنسيا/ نوعيا (أو من خلال ما يعرف بالجندر) فإن هذا النص ينتمي إلى نوع جديد من الأدب يعرف "بأدب اللا–نوع".

Stephane Celimon considers colonial literature a form of cultural criticism and critical cultural analysis ،it is also an approach to liberating entire societies from the hegemonic codes of cultural masks ...

From these Arabic texts we find a text " nissian Com" by Algerian writer AhlamMostaganemi, which is a distinctive type of writing ،the writer entered it after her unique narrative experience through her famous trio (dakirateljassed,

fawdaaelhawas, abirsarir), it is therefore a temporal text of colonial literature or post-colonial writing, sexually / qualitatively (or through gender) this text belongs to a new type of literature known as "non-genre literature".

And if we consider that text " nissian Com" was surrounded by a set of cultural patterns covered, the question is: Could text " nissian Com" pass its patterns? and what are these patterns passed by? and how did he do that?

نص "نسيان COM"/ و أدب اللا–نوع:إن تحديد هوية كتابة ما يرتكز على مجموعة من المعايير الأدبية الفنية المتداولة بين النقاد، و هذا ما يدفعنا للقول القول "أن الأجناس الأدبية تُستخلص من مقاييس تداولية للأدب، أي من الحركة التواصلية للآثار" [3] .

و هذا ما يدفعنا لطرح السؤال: لو أدرجنا نصا معينا –ولو تجاوزا– ضمن جنس أدبي محدد: هل يعني هذا الانتساب حذفه من الأجناس الأخرى؟

" إن نصا ما يستطيع الانتساب غالبا إلى صنفين أو عدة أصناف، يمكنه مثلا أن ينتسب إلى جنس معقد وجنس بسيط في الوقت نفسه (من جهة نظر تودروف)" [4]وليكن الجنس المعقد هو السرد والجنس البسيط هو القصة مثلا.

إن تصنيف النص الواحد تحت أكثر من جنس أدبي يؤدي إلى وجود حدود غير واضحة متحركة بين الأجناس، وهذا ما يؤدي إلى تجاوز هذه الحدود مرة وتجاهلها أخرى. من هنا ينشأ أدب جديد يكسر كل هذه الحدود ويقفز فوقها: فهو أدب يتأبى الدخول تحت أي نوع محدد سلفا، وهذا يعني أن هناك فصيلة لا بد أن نسلم بها وبهذه الطريقة نتوقع أن يكون "أدب اللا–نوع Non–genre مفهوما غير مقبول، وإذا ما تم قبوله لن يشير إلا إلى حثالة" [5].

إن وصف هذا الأدب الجديد بالحثالة، ما هو إلا توقع رفض له،لأنه ببساطة خارج عن عرف الأنواع الأدبية وعن توقعات القراء. لكن الأدب ليس تواصلا مباشرا، أو تمثيلا، إنما جوهره هو الإبهام، إبهام ما.فكما أننا سوف نتوقف عن

الألعاب إذا تحكمنا فيها تماما، فكذلك الأمر في اهتمامنا بالأدب. إن الأدب منفلت وينبغي أن يحافظ دائما على هذه الخاصية فيه، لذلك يتخلى أدب اللا-نوع عن العلاقات القائمة بيت "الكتابة" -نتاج السطح- و"القراءة" -نتاج المعنى-، ومن ثم فالجوهري بالنسبة للقارئ هنا، هو الطرق التي يحاول بها أن يخلق النظام، ولهذا يقول سولرز: "إن المشكلات الأساسية اليوم، ليست المشكلات الخاصة بالمؤلف والعمل، بل تلك المشكلات الخاصة بالكتابة والقراءة" (6).

فالقارئ في نصوص تنتمي إلى أدب اللا-نوع أو هي نصوص تقع في الفجوات بين الأنواع تتاح له فرصة قراءة نفسه في حدود فهمه. وقد تكون أكثر التجارب عمقا، هي تلك التجارب المحبطة، وهذا ما ولد الاهتمام بدراسة النصوص العشوائية التي ينتجها الكمبيوتر، وهذا هو السبب في أن أدب اللا-نوع ليس مجرد حثالة، بل أمر محوري بالنسبة للخبرة المعاصرة في الأدب.

بناء على الفهم السابق لأدب اللا-نوع، فإن نص مستغانمي ينتمي إلى هذا الأدب الذي يكسر الحدود بين مختلف الأجناس الأدبية، نظرا لطبيعة الكتاب الذي يتشكل من مجموعة من النصائح تقدمها الكاتبة للقارئ/المرأة، مستعملة في ذلك أدوات ثقافية مختلفة ، من خلال الترويج و الإعلان و الإغراء.

نص "نسيان COM"/ وثقافة الهامش: نص "نسيان Com"، هذا العمل الذي يصعب تصنيفه، فلا هو رواية، ولا هو مجموعة قصصية، ولا مجموعة مقالات ...إنه كتاب لا هوية له، وقد يكون أقرب إلى "البيان" النسوي موزعا على فصول.

تتجلى أولى ملامح التغريب في هذا الكتاب من العنوان "نسيان Com"، متبنية الكاتبة في ذلك الشعار السوبرناتي الرائج Com، علها تعلن به الموقع النسوي الجديد الذي ضمنته كتابها www.nessyane.com.

والكتاب عبارة عن مجموعة من النصائح "النسائية" توجهها مستغانمي –حسب ما يظهر–إلى المرأة، على غرار النصائح التي وجهها الشاعر الألماني (ريلكه) والروائي البيروفي (ماريو فارغاسيوسا)، والشاعر (محمود درويش) إلى الشعراء والروائيين الشباب أو الجدد، فمستغانمي تلعب هنا دور "المرشد العاطفي".

تنتظم محتويات الكتاب، على شكل رسائل أو نصائح، وكل مجموعة منها تتدرج تحت فصل معين، فالفصل الأول مثلا جاء تحت عنوان "هكذا تورطت في هذا الكتاب"، وهو فصل قد نعتبره "تجوزا" فصلا تقديميا، وفيه توضح الكاتبة سبب اختيارها للموضوع وأهدافها من ذلك.

وتستمر مستغانمي في مفاجأة قارئها وإغرائه، إذ؛ إلى جانب النصائح المحتواة في الكتاب، يرفق أيضا بقرص مضغوط (CD) للفنانة جاهدة وهبة، تغني نسيان مستغانمي (وهي سابقة أولى في الوطن)، إذ تم الجمع بين فنين (الأدب والطرب) في عمل واحد.

لهذا اعتبر عمل مستغانمي هذا عزفا على وتر الشباب/الجيل الجديد، إذ الكتاب أشبه بالكتب التي تقدم للنساء وصفات عصرية من قبيل "كيف تصير ثريا" و "كيف تكسب صداقات"، و "كيف تصبح مليونيرا في أيام ..." [7] إلى غير ذلك من الكتب العملية التي يستعملها الإنسان في حياته اليومية، خاصة احتوائها على عدد كبير من لغة الشارع والدارجة العربية من الجزائر إلى بيروت.

وتنكر المؤلفة أن يكون الكتاب "مانيفستا نسائية" لكنه "جردة نسائية ضد الذكورة"، تستعيد فيه مستغانمي أدوات الحرب النسوية نتيجة خيبة المرأة من خيانة الرجل أو أنها ما أصبحت خيانة الرجل، لقد أضحت غياب الرجل.

أما عن معمار نصائحها، فقد جعلت لها الكاتبة عنوانا لكل نصيحة/نص، سواء كان هذا العنوان شعارا سياسيا أو مخزون ثقافة مستغانمي أو كانت انتاجا ذاتيا، يليه نص آخر مقتبس هو الآخر أو قد يكون إبداعا ذاتيا للكاتبة، ويمكن أن يكون النص قولا لشخصيات معروفة، أو قولا مأثورا أو مثلا أو حكمة أو بيت شعر أو .... وهو ما اصطلحنا عليه في دراستنا "بالنص الموارب"، بعد هذا تبسط مستغانمي نصائحها في شكل نصوص تتراوح طولا وقصرا، لتختمها أحيانا بنصوص أخرى يمكن تسميتها بالنصوص الخواتم.

ويعد هذا الكتاب في كثير من ملامحه "أدبا نسويا"، تضطلع فيه مستغانمي بالحكي على شاكلة شهرزاد، ولكن شهريارها هذه المرة نساء تعانين الخيانة الذكورية والخيبة العاطفية، وهذا ما يجعل هذا الكتاب ينتمي إلى ثقافة الهامش، التي تكون رائجة وذائعة بين مختلف الطبقات الاجتماعية خاصة الدنيا منها/الجماهير. فقد حقق هذا الكتاب نسبة مقروئية تفوق المتوقع، سواء ورقيا أو الكترونيا، و هذا يعبر عن تحقيق الانتشار الجماهيري، أو أولى الملامح الثقافية للكتاب.

مقاربة ثقافية لنص "تسيان COM" لأحلام مستغانمي: سنحاول في مداخلتنا هذه تقديم مقاربة ثقافية لنص مستغانمي، الذي يندرج ضمن أدب اللا–نوع، من خلال التركيز على أكثر الأنساق الثقافية بروزا و جلاء في النص، بدء بالعنوان والأيقونة، وصولا إلى بعض النصوص النصائح التي تنتظم في شكل لأنساق ثقافية مختلفة حضارية، اجتماعية سياسية و دينية أخلاقية.

العنوان/العتبة الثقافية: إن أول ما يطالعنا في الكتاب بعد لونه الأسود، هو الختم باللون الأحمر "يحظر بيعه إلى الرجال"، إنها الطريقة الدعائية الأقرب إلى

جمهورية الرجال؛ لأن الممنوع دائما مرغوب، والمرغوب دائما ممنوع، هكذا صاغها نزار:

"أنا ممنوع في كل مكان، فأنا مقروء في كل مكان".

إنها الجملة النسقية الأولى على غلاف الكتاب:

يحظر بيعه للرجال ←——— مكتوبة باللون الأحمر

أنا ممنوع في كل مكان، – المنع ←— هو النسق الظاهر

فأنا مقروء في كل مكان. – الإغراء/ لفت الانتباه ←— النسق المضمر

- الكتاب موجه للنساء←—أول ما يطالعك هو كلام للرجال بلغة رجل.
- موضوع الكتاب هو البحث عن الرجل (أيها "الرجال الر جال" سنصلي لله طويلا كي يملأ بفصيلتكم مجددا هذا العالم ...) [8].
- الكتاب موجه للرجال وليس للنساء.

ثم إن الربط بين الصيغة التي جاء بها الخطاب عند (نزار قباني) وعند (أحلام مستغانمي) يبرز شيئا من اختلاف الوسيط الذي يتم به الترويج للمنتوج:

– أنا ممنوع في كل مكان، فأنا مقروء في كل مكان.

– يمنع بيعه للرجال.

- لقد ولى عهد الكتاب المقروء، يوم كانت نسبة المقروئية هي التي تحدد نسبة نجاح الكاتب والكتاب، أصبح اليوم نسبة النسخ المباعة هي التي تحدد هذه النسبة، والنجومية مقترنة بطوابير الواقفين ينتظرون دورهم للحصول على نسخة من الكتاب.

الكلام المقارن به لنزار قباني، إنه شاعر الأنوثة، أكثر منه شاعر المرأة.

- نزار ذكر ⟵ يبحث عن المرأة
- أحلام أنثى ⟵ تبحث عن الرجال/ الرجل.

إن مستغانمي تفتش عن الرجال، وتستفزهم بطريقة المنع هذه، ولهذا يرد الرجل على هذا المنع بقراءة الكتاب، ويتهمه بأنه كتاب خطير وشرير ومذكر وناسي، أقل أوصافه هذه هي؛ إنه كتاب "ليس جديرا بأن يكون في يد امرأة عاشقة، ورجل تعود أن تصحبه الوردات والياسمين وقطوف نزار قباني إلى معشوقه"[9].

هل يعني هذا أن مستغانمي نجحت في الترويج لكتابها "المحظور" .... هل أقلق بالفعل هذا الكتاب الرجال الرجال ...؟!

زهرة النسيان/ الأيقونة الثقافية: لقد حدد شارل ساندرس بيرس (Peurce) الأيقونة بوصفها "دليلا يحيل إلى الموضوع الذي لا يدل عليه إلا بمقتضى الخصائص التي يملكها ..." والصفة الدليلية للأيقونة القائمة على التشابه أساسا، تلزمها بأن تنتج فكرة مؤولة"[10].

فالأيقونة إذا لا تكون لمجرد التزيين أو بدافع الزخرفة أو حتى ملأ الفراغ، وإنما تحمل دلالة يتم تأويلها، وتتكامل مع باقي العتبات الأخرى في الكتاب.

إن العلاقة بين الأيقون وموضوعه هي علاقة تشابه، هذا ما يحدده بيرس بكلامه السابق، وهذا ما يدفعنا للتساؤل عن علاقة التشابه بين النسيان في كتابه الأنثوي الأسود، وبين الأيقون على الكتاب، كيف تتجلى؟

الزهرة البرتقالية ذات الغصن المائل⟵ زهرة النسيان، ثم كيف يتكامل الأيقون باعتباره عتبة النص مع باقي العتبات الأخرى وأولها الختم بالأحمر: "يحظر بيعه للرجال"؟

إن ملمس الزهرة البرتقالية / زهرة النسيان (الأيقون) لأقرب للنحتة منه للرسمة، علها تكمل منظر الخمار الأسود الذي يغطي رأس الحسناء/ الجميلة التي تنتظر ذلك الرجل الضائع، فهل يكون الغلاف خمارا يغطي محاسن الكتاب؟ أم أن الزهرة إمعان في تأنيث الكتاب. لنستعر رمز الذكورة والأنوثة من العلوم الطبيعية:

الذكر ♀

الأنثى ♂

إن مستغانمي تحظر الكتاب على الرجال مرة أخرى، ولكنها تستعمل هذه المرة أيقونا ليعبر بدلا عنها، لقد ختمت كتابها ختمين:

- يحظر بيعه للرجال ← باللون الأحمر ← المنع كنسق ظاهر
- الزهرة البرتقالية ← رمز الأنثى ← الإغراء والترويج كنسق مضمر

لعل الكاتبة بهذا تجند كل ما على ظهر كتابها لتمنعه عن الرجال ← لتغري به الرجال؛ لأنها تعتقد جازمة أن الكثير الكثير من الرجال سوف يقرؤوه (تسويق الكتاب)، وفعلا صدقت في اعتقادها، فيعترف أحد قرائه من الرجال قائلا: "أعترف أنني قرأت هذا الكتاب أخيرا مرغما"[(11)]، وهو يقصد الكتاب الأنثوي الأسود: "نسيان Com"

ويعود هذا الانتشار الواسع لمستغانمي لعزفها على وتر "الجماهيرية"، فلقد أكدت في أكثر من مناسبة أنها لا تكتب للنخبة، لكنها تكتب للطبقة المهمشة والبسطاء من الناس، إن تركيز أحلام على "الجماهيرية" في كتاباتها هو ما يسهل عليها إضمار الأنساق، وها هي توظف النسق التجاري تحت غطاء مواكبة العصر:

عصر العولمة ⟵ عصر المعلوماتية/السوبرناتية(Com).

-أيضا، لقد كانت الموسيقى قديما مرتبطة بتأدية وظائف سحرية، كما اعتبرت -في الحضارات القديمة- وسيلة للعلاج[12]، لذا حاولت مستغانمي بالاشتراك مع الفنانة جاهدة وهبة تقديم "ديو" فني بين كاتبة ومطربة، كلتاهما تنتمي إلى حزب النسيان، السهل الانخراط ضمنه، فقط ثبت الموقع www.nissyane.com واضغط على زر الفأرة الأيسر، من أجل تحقيق الهدف المنشود: النسيان !

أنواع الأنساق في نص "نسيان COM": لقد حملت نصوص هذا الكتاب مجموعة من الأنساق، منها ما تكرر كدلالة من الكاتبة على استغراق ذلك النسق الثقافي وتمكنه في الثقافة العربية. وهناك من الأنساق ما تناسل عبر النصوص المختلفة، سواء في عتبات النص أو في النصوص الموازية أو من خلال النصوص النصائح.

وهذه الأنساق عموما تضم تحت كبير، يتفرع إلى أنساق صغرى تخدم النسق الأكبر وتجسده، ويمكن تصنيف هذه الأنساق الكبرى كما يلي:

أ- في النسق الحضاري/ ما بين خصوصية أصلية وأيديولوجيا مستعارة:

إن النسق العام الذي يحكم ويسيطر على الكتاب تقريبا، هو تغير القيم وزوالها، فالكاتبة ومنذ الجملة النسقية الأولى في كتابها:

"أحبيه كما لم تحب امرأة

وانسيه كما ينسى الرجال"[13].

تجسد هذه الجدلية "الحضارية" وبصور مختلفة:

1- **المرأة والحب/ المرأة والخطيئة:**إن النماذج التي حواها الكتاب الأسود "نسيان Com"، هي نماذج لنساء غرقن في حب رجال دون أمل من ذلك (يتجلى

هذا عند صديقتها كاميليا، وعند الفتاة المغربية)، والأصل عند المرأة أن تحبّ وليس أن تُحِب، فهي يُصرح لها بالحب، ولا تصرح هي بحبها، ولكن الكتاب الأسود يريد كسر النسق من خلال جعل المرأة هي الفاعل في الحب، وليس المفعول به.

دائما كان السبب في ترفع المرأة عن التصريح بمشاعرها هو شرفها، كما صورته الثقافة، لكن ما تضمره، أن المرأة/حواء عندما أحبت آ دم جرته إلى الخطيئة نتيجة ضعفها.

فالمرأة لأنها ضعيفة لا يجب أن تصرح بحبها حتى لا تقع في الخطيئة، وحب المرأة للرجل هو كسر لهذا النسق المتأصل في المرأة العربية. إن النسق الآخر المتأصل لدى المرأة العربية هو الوفاء في الحب دون تصريح بحبها، هذا النسق الذي يجليه العنوان الرئيسي، من خلال محاولة استعارة إحدى صفات الرجل (النسيان) للمرأة، وهذه العقلية تختلف تماما عن العقلية العربية التي يجليها قول الشاعر: **ما الحب إلا للحبيب الأول.**

إن المرأة العربية تحب مرة واحدة بصدق، قد تسهو عن حبها الأول، وقد تتناساه ولكنها لا تنسى، والنموذج النسقي المراد كسره هنا هو الوفاء الغبي للرجل، لذلك فمستغانمي تجسد هنا نسق التناسي وليس النسيان، التناسي من خلال حزب له طقوس معينة، أولها الانخراط في موقع تجاري نسين Com.

2- **صورة الرجل/ السندباد الجديد:** لقد شغل الكتاب نفسه بعرض صورتين متناقضتين للرجل والمرأة، فالأخيرة التي ألفت نمطا معينا (الحب بصمت، الوفاء، ...) يريد الكتاب كسر نسقها المألوف، أما الرجل فإنه على العكس منها، أضاع

أصوله، وتبنى شيئا آخر مستوردا، أفكارا يبدو أنها لم تلق الإعجاب عند المرأة التي ما كسرت نسقها (عن عجز وليس عن وفاء).

فمستغانمي/المرأة رفضت رجولة الساعات الثمينة، والسلاسل الذهبية، رفضت رجولة مهند ويحي، لقد رفضت المرأة الذكورة وكل ما يرسخ خصالها، لأن هذه الذكورة جسدت مركزية جعلت الأنوثة والرجولة يضيعان في هامشها، لأنها هي المتن.

إن الرجولة الضائعة (صورة السندباد العربي القديمة) سببها الذكورة المستوردة والفحولة التي تباع في الصيدليات، والتستوسترون المرتفع بسبب الحبات الزرقاء التي يتناولها الرجال.

3- الشعر (الأدب) ديوان العرب/ تجارة العرب:

إن الميزة الشكلية الأساسية في هذا الكتاب الأسود، هو أنه ينتمي إلى أدب اللا-نوع -كما أسلفنا- هذا الأدب الذي ظهر وبرز مع بروز الثقافة الجماهيرية إلى الواجهة، هذه الثقافة التي تريد قلب الموازين ومساواة الأرض بالسماء.

فالثقافة الجماهيرية تسعى لإنتاج أدب بسيط استهلاكي مرحلي، مادام الأدب أصبح استهلاكيا، فإنه يحتاج إلى أدوات ووسائل جديدة غير تلك التي تعودها "الأدب الرفيع".

إن هذه الأدوات الجديدة هي الوسائل الدعائية التي ما قصرت مستغانمي في توفيرها لكتابها الأسود، فمن قبل صدور كتابها ورقيا، قامت بحملة ضخمة على شبكة الانترنت للترويج لكتابها الجديد، على موقع الفايسبوك:

www.facebook.com/AhlamMostaghanemi[14].

لذلك لا عجب أن يكون إهداؤها الأول إلى قراصنة كتبها الذين ينتظرون إصدارها أكثر من أي أحد آخر[15].

ولقد عززت هذه الجملة التسويقية عنوان الكتاب نفسه "نسيان Com" ذو اللاحقة Com ذات الدلالة التجارية، مما يوحي أن الكتاب ذو نزوع استهلاكي أصلا، يدعمه الختم على الغلاف (يحظر بيعه للرجال)، وكل هذا يعززهCD مرفق بالكتاب للفنانة جاهدة وهبة.

هذه الأسطوانة التي تحتوي أشعارا للكاتبة ذاتها، بصوت المطربة اللبنانية هي محاولة لصنع "ديو" فني فعلا، غرضه تسويقي، فالموسيقى هي أكثر الفنون رواجا اليوم، وخاصة منها سوق الأسطوانات التي هي موضة العصر، ومادة الثقافة الجماهيرية وحتى الشعبية أحيانا.

إن الشعر العربي انتقل من تلك الهالة "القدسية"، من التنقيح حولا كاملا، من النسق الذي صنع الفحولة والطغيان، والنسق الذي حمل الحكمة والبيان، وهو النسق الأصلي ، إلى مجرد كلمات مرصوصة تقترن بموسيقى لتعطيها قيمة، ومن ثمة تحاول هي أن تؤدي قيمة تسويقية.

ب- في النسق الاجتماعي والسياسي/ آلية الإسقاط والتمويه:

رغم تصريح الكاتبة في بداية كتابها بأنها لن تكتب كتابا سياسيا حتى لا يمنع في جل البلدان العربية، لكنها مادامت تكتب عن المرأة العربية والرجل العربي والمجتمع العربي عموما، لا يمكنها التجاوز على ما يوجد به، وإن كان ذلك بطريقة مضمرة، فقد صورت من خلال المرأة نسق الشعوب العربية، ومن خلال الرجل نسق الحاكم العربي.

1- **الرجل وصورة السلطة/ الأنظمة الحاكمة:** لقد مثل الرجل في المخيال العربي صورة السندباد، ذلك الشجاع المغامر الثائر، ولكنه مثل أيضا الصورة المعاكسة، صورة شهريار، الذي يمثل الجبروت والتسلط، كما يمثل الذكورة بأحلى صورها، إنه يمثل المركزية في العالم العربي، وكل حاشية عليه وهامش.

إن تشبيه مستغانمي للرجل العربي بالحاكم العربي لتأكيد على السلطات الكثيرة التي يمارسها هذا الرجل/ الحاكم الصغير على المرأة، أولها السلطة الأبوية (كما رأينا ذلك فيما سبق)، لكن هذه السلطة وصفتها بأنها (الرجل في منتصف العمر) وهو عمر كل الدول العربية الحديثة، حيث أسست فيها السلطة/الحكومات المستقلة في الخمسينات والستينات من القرن الماضي، وهي سلطات تتسم بكونها (ذات اللون الرمادي)، والرمادي هو دلالة على اللالون، واللاحقيقة، هو العماء الذي يحيلنا إلى اللاإنتماء، إنه اللون الذي تبنته الدول العربية في "حركة عدم الانحياز" حيث حددت مكانها بين الدول بأنها لا فاعلة ولا فعالة.

إن الرجل المريض الذي انتقل إلى السلطات العربية يعاني من "السكري وضغط الدم ومن تصلب الشرايين والروماتيزم والكولسترول ومن القصور الكلوي ... من أمراض رجالية، ولكنه بين جرعتي دواء بين الأقراص البيضاء وتلك الزرقاء يحتاج إلى الوقوع في الحب كل يوم"[16].

ربما سير الأنظمة العربية في بدايتها نحو تبني (الرمادية) جعلها تؤسس لما يسمى بخصي التاريخ أو عقم السياسة؛ إذ وضعت نفسها بين فكي البيت الأبيض/الكونغرس الأمريكي (الأقراص-البيضاء) ورحمة اليهود (الأقراص الزرقاء).

2- **نسق الرجولة وعقم التاريخ:** لقد سيطر على المجتمع العربي نسق الفحولة، تلك الفحولة التي ما بقيت إلا في الأجساد (فحولة بيولوجية)، وأدت بالمقابل إلى عقم التاريخ، فالعرب (المحدثين) ما صنعوا شيئا يسجله التاريخ، لذلك يترسم من خلال الكتاب الأسود للحب "نسيان Com" نسق مجتمع مطمور، ممسوخ، عائد إلى بدايته الأولى حيث الطوطامية، لأن النموذج الذي ساد هذا النسق هو النموذج المكسيكي مرة، والآخر الغربي المستورد مرة أخرى، ففي الأول ينسب الابن غير الشرعي للأم، وهي الصورة الحقيقية للحكم العربي، فهو حكم غير شرعي، يعيش غربة الانتساب والاستقلالية، وفاقد للتاريخ والسلالة... فاقد للأب، وهذا الأب يعني عقدة، لذلك يلجأ إلى استيراد كل ما هو غربي لتغطية هذه العقدة، لذلك أصبحوا يمثلون:رجولة (الساعات الثمينة والسيجار الفخم....) إنهم يريدون التغطية على الحكم اللاشرعي الذي هو سليل الاستعمار/الحكم الاستعماري، لذلك فنسق الرجل/الحاكم تبرزها صورة التاريخ المتسلط التي هي صورة نقيضة لصورة الإخصاب المتعددة، ونمثل لهذا بقول مستغانمي: (أتعرف للرجولة رمزا إلا حكاما شابوا على الكرسي).[17] لعل هذا العقم السلطوي/ السياسي تناسل وأدى إلى عقم فكري واجتماعي يسيطر على التاريخ كله.

3- **المرأة وصورة الشعوب العربية/ المحكوم:** تمثل المرأة في المخيال العربي نسق الضعيفة التي تحتاج دائما إلى رجل قوي يحميها، هذا النسق الذي رسخته أحيانا مستغانمي في نسيانها، وأخرى حاولت كسر هذا النسق من خلال نماذج كنموذج الصبوحة.

فالنسق الأول المرسخ يتجلى من خلال تشبيه المرأة العربية بالشعوب العربية، تلك التي ترضى بحكم الرجل الجبار ولا تتحرك ساكنا، رغم تواصل أذى

الرجل/الحاكم العربي لهذه الشعوب: (هل حاكم شعب عربي واحد حاكما على تبذيره).

إن الشعوب ترضى بحكامها تماما كما ترضى المرأة بالرجل تحت اعتبار أنه قدرها، أما النسق الآخر الذي حولت كسره، فيظهر من خلال الاستعانة بصورة الصبوحة، باعتبارها المرأة/ النموذج المنشود، إذ تقول: (لأننا لسنا الصبوحة)[18] لعلها المرأة كما يجب أن تكون، لأن الصبوحة قد مثلت في المخيال العربي التمرد على العرف العربي، وعلى التاريخ النسائي، فقد كسرت نموذج شهرزاد التي تناسلت لغة لتثبت وجودها في المجتمع الذكورة بالذكورة، فهي كسرت النسق الذكوري، إذ أنها لا تتزوج إلا الشباب، وهي التي تهجر هؤلاء الشباب عندما تمل منهم (تغير بشاب آخر) وبالتالي تكون صورة الصبوحة مناقضة تماما لصورة شهرزاد:

شهرزاد	الصبوحة
المرأة العربية الفعلية	المرأة العربية كما يجب أن تكون
⇩	⇩
شهريار الجبروت	تعدد الشباب
⇩	⇩
سلطة (حكم)	لا مركزية

خضوع وخضوع: نسق المرأة/ الشعوب العربية

فصورة المرأة في هذه النصيحة هي صورة المرأة المنفذة الخاضعة للرجل، وهي هنا تناسل للصورة السابقة (عدم محاكمة المرأة للرجل)، هذا النسق ما هو إلا نسق سياسي تاريخي وأيضا اجتماعي يسيطر على الأمة/ الشعوب العربية.

فهنا تتنامى الصورة من الجزئية إلى الكلية، من المرأة إلى الشعوب العربية، ونسق العروبة الذي يتجلى من خلال تداخل نسقين هما:

- نسق المرأة: عقدة الأم: الاستعمار
- نسق الرجل: عقدة الأب: السلطة/ الحكم: بقايا الاستعمار.

4- مستغانمي حكي النهار:

ولو أردنا تصنيف النسق الذي جسدته مستغانمي من خلال كتابها "نسيان Com" لربما ذهبنا إلى أنه تجسيد لنموذج شهرزاد بصورة مضمرة لذا قد تبدو مغايرة فـــ:

مستغانمي شهرزاد

المرأة التي تحكي نهارا	المرأة التي تحكي ليلا
⇓	⇓
ساعتها التاسعة صباحا	ساعتها ظلمة الليل

فالمؤلف إذن: أعاد استنساخ شهرزاد جديدة، بلغة نهارية، حكت قصص الحب لأجل النسيان، لكنها ما حققت نسيانها: صديقتها كاميليا عاد لحبيبها: مستغانمي شهرزاد فاشلة.

ج- في النسق الديني والأخلاقي: جدلية الاعتقاد والتمرد: في نموذج آخر وتحت عنوان: "صلي ... ففي سجود قلبك نسيانه" تطوع مستغانمي إحدى المركزيات العربية لخدمة موضوعها، هذه المركزية هي (الدين) الذي كثيرا ما

اتخذ شعارا سياسيا للوصول إلى المجد السلطوي، ولكنه هنا لا يحمل نفس الدلالة، إنما يضمر أنساقا تحكم الثقافة العربية، وأحيانا تزيغ الكاتبة عن نسقها لترسم نسقا وتنقل آخر.

إن أول زيغ عن النسق هو العنوان، الذي يربط بين الصلاة وأحد أفعالها السجود، وبين النسيان، فهو يجعل الصلاة في مقابل النسيان وخادمة له، إنها الصلاة المناسباتية، كصلاة العيد وصلاة التراويح، التي يجتمع فيها الكل، لكن هذه الصلاة "صلاة النسيان" هي صلاة فردية، هي شبيهة بالتطهير عند المسيحيين، بيد أن النسيان هو تطهير الذاكرة.

إن الصلاة هنا خرجت عن وظيفتها الأولى، وهي تقرب العبد من ربه، لأن الله غني عن عبده، لتصبح ذات وظيفة تطهير للذاكرة، وهنا إسقاط لعقلية غريبة ومحاولة بثها في النسق السائد.

تقول مستغانمي:"بقدر إيمانك يسهل خروجك من محن القلب وفوزك بنعمة النسيان"(19)

إنها تجعل النسيان هو المركز الذي أصبح الدين خادما له، وأصبح النسيان هو الدرجة المبتغاة. وتورد المؤلفة حكاية مسلم بن يسار الذي هد جزء من المسجد وهو يصلي ولم يحس بها، إن تهدم المسجد يعني سقوط السلطة الدينية، والأدهى من ذلك أن الرجل لم يحس بهذا التهدم، لقد ذهب الدين وسقط ولم يحس به المسلمون، بل لم يحركوا ساكنا، بقيوا متفرجين، لقد سقطت فلسطين وبها القدس أولى القبلتين وثالث الحرمين، وبقي العرب يرقبون توارد الأحداث بقوا واقفين، مهنة التفرج على ما يحدث.

يقول إقبال: "إذا فصلت السياسة عن الدين فقدت معناها"

لقد سقطت السلطة الدينية عربيا، فكيف هي حال السلطة السياسية؟

تورد مستغانمي أيضا حكاية يعقوب الحضرمي الذي سرق رداؤه أثناء الصلاة، ورد إليه وهو لا يشعر[20].

إن الرداء يمثل السيادة والسلطة، التي فقدت هي الأخرى عندما سرق الرداء، لقد سقط الدين أولا ففقدت السيادة معناها وسرقت، لقد سرقها العباسيون من الأمويين وسرقها التتار من العباسيين، لكن الأخطر عندما سرقها الغرب من المسلمين بداية من الأندلس ومرة أخرى، لم يشعر الحضرمي بمن سرق رداءه، كما لم يحس المسلمون بمن سرق سيادتهم.

وتواصل مستغانمي سلطتها الإرشادية الممارسة على القارئ بالاستعانة بالسلطة الدينية خاصة من خلال نموذج: "واختبري بتقواه ....أخلاق قلبه"[21]، وهنا تسرد مجموعة نصائح دينية للوصول إلى غايتها: النسيان.

إنها هنا تماشي النسق الاجتماعي السائد، إذ الدين تظهر فعاليته في أوقات محددة، عند الوفاة وعند المحن الأقل مثل النسيان، وهي هنا لم تكسر نسقا إنما رسخته، بمخاتلة القارئ وخداعه باستعمال أركان الدين من مثل الصلاة والصيام.

لكنها هي التي أقنعت قارئها بها ولكنها ربطتها بوظيفة واحدة هي النسيان. النموذج السابق كانت تجعله يعتقد بما تقوله، ثم تخاتله وتتمرد هي على ما هو موجود، فمنطلق التطهير مثلا كان إسلاميا، وهنا اعتقد به القارئ، ولكن توظيفه كان تمرديا، كذلك الأمر بالنسبة للصلاة.

خاتمة:

1. إن النسق العام الذي ينتظم تحته الكتاب "نسيانcom" هو نسق تجاري يتجلى من أول العنوان إلى كل مكونات العتبة النصية الأولى للنص .

2. هناك أنساق طاغية على النص متمثلة في النسق السياسي والاجتماعي ، فرغم تصريح الكاتبة بأنها لن تكتب بلغة سياسية حتى لا يمنع في جل الدول العربية ،إلا أنها لجأت إلى حيلة الأنساق المضمرة لتمرير أنساقها السياسية من خلال تشبيه الرجل بالحاكم العربي ، وبالتالي أفعاله وتصرفاته وتصوراته إحالة لهذا الحاكم .

3. كسر هذا الكتاب السردي النثري رؤية بعض النقاد العرب (الغذامي تحديدا) أن الأنساق تختفي وراء الجمالي لتمرر، إذ تم تمرير الأنساق في نسيان com من خلال اللغة البسيطة والفكرة التي تبدو مسطحة ،وأحيانا بلغة شعبية الهدف منها الوصول الى اكبر شريحة جماهيرية .

4.شكلت مستغانمي نموذج شهرزاد/الحكواتية- بلهجة مشرقية- في حين صورت الرجل بصورة شهريار/الحاكم الخادع المخدوع .

5. لقد تجلى من خلال نصائح مستغانمي نوعان من الفحولة ، الفحولة الجسدية /الذكورية ، وغياب الفحولة الفكرية /العقم الفكري التاريخي ، وهذا ما أدى الى خلخلة الوضع العربي وترديه.

6.أثبتت مستغانمي مجموعة من الأنساق، منها المركزية الشرقية، الدونية المغربية، الأنا المتعالية للمشارقة، الحاكم المستبد، الشعوب القدرية الخاضعة.

الهوامش:

1- شهلا العجيلي: أدب الشعوب التي تحررت من الاستعمار-كتابة الضحية- (النص الروائي نموذجا)، ضمن كتاب: الدراسات الثقافية ودراسة ما بعد الكولونيالية، الدار الأهلية، الأردن، ط:1، 2008، ص74.

*_ والعصر الحديث يؤرخ له أصلا من حملة نابليون بونابرت على مصر، فالتاريخ العربي الحديث مرتبط بشكل رهيب بالمستعمر ولا زال يحمل عقلية (القابلية للاستعمار).

2-ينظر : نبيل راغب : موسوعة النظريات الأدبية، الشركة المصرية العالمية للنشر،لونجمان، مصر، ص 551.

3- الأمين بن مبروك: الأجناس الأدبية من الضبط إلى العبور، مقالات وفصول مترجمة، دار نهى، صفاقس، تونس، ط:1، 2008م، ص 18.

4- جان ماري شيفر: ما الجنس الأدبي؟ تر: غسان السيد، اتحاد الكتاب العرب ، ص56.

5- جوناثان كولر: نحو نظرية لأدب اللا-نوع، ضمن كتاب : القصة، الرواية، المؤلف، دراسة في نظرية الأنواع الأدبية المعاصرة، مجموعة مؤلفين، تر/ خيري دومة، دار شرقيات، ط:1، 1997م، ص 194.

6- نفسه، ص 196.

7- زهية منصر: أحلام مستغانمي تدخل الأدب عصر النجومية فمن يجرؤ أن يقول "لا"؟، جريدة الشروق اليومي، ع: 270، ت: 2009/08/26م.

8- أحلام مستغانمي : نسيان Com: دار الآداب، بيروت، لبنان، ط:1، 2009م، ص 11.

9- عبد الوهاب معوشي: الحب في كتابه الأسود، الموقع الإلكتروني:
www.djazaranews.info بتاريخ : 2009/10/05م.

10- يوسف الإدريسي: عتبات النص، بحث في التراث العربي و الخطاب النقدي المعاصر، منشورات مقاربات، المملكة المغربية، ط:1، 2008م، ص 53.

11- عبده وازن: نصائح أحلام مستغانمي، جريدة الشروق اليومي، الجزائر، ع:2795، ت:2009/12/15م.

12- ينظر: جمال مفرج: أتزمة القيم، من مأزق الأخلاقيات إلى جماليات الوجود، منشورات الاختلاف، ط:1، 2009م، ص 68.

13- أحلام مستغانمي: نسيان Com، ص 5.

14- نفسه، خلفية الكتاب.

15- نفسه، ص 7.

16- نفسه، ص 111.

17- نفسه، ص135.

18- نفسه، ص 109.

19- نفسه، ص 117.

20- نفسه، ص 118.

21- نفسه، ص 125.